تحولات الصراع ضد الكيان الصهيوني من الدائرة العربية إلى الدائرتين الإسلامية والإنسانية: التفكير في التأسيس لرؤية مغايرة

Transformations of the conflict with the Zionist entity from the Arab circle to the Islamic and humanitarian circles: Thinking about establishing a different vision

بتة الطيب*، أستاذ محاضر أ
مخبر البحث في تطوير التشريعات الاقتصادية،
كلية الحقوق - جامعة تيسمسيلت - الجزائر
Tayebbetta.sp@gmail.com

تاريخ الارسال: 2025/04/17	تاريخ القبول: 2025/05/20	تاريخ النشر: 2025/06/03

ملخص :

تعتبر قضية فلسطين أكثر القضايا حضورا وإثارة في التاريخ السياسي الحديث والمعاصر، سواء من حيث طول أمد الصراع أو بشاعة جرائم الاحتلال أو صمود الشعب المحتل.

وقد شكلت القضية تحديا رئيسيا عند العرب خصوصا والمسلمين عموما منذ الإعلان عن قيام دولة الكيان الصهيوني في عام 1948، فاحتضنها العرب لعقود في سياق القومية العربية كهوية جامعة، وبعد بدايات موجة التطبيع مع الصهاينة اختزل إطار القضية في الحيز الفلسطيني الضيق.

يأتي هذا المقال لمعالجة تطور السياقات التي احتضنت هذه القضية المزمنة، ويقترح دوائر جديدة للاهتمام بها بغرض توسيع نطاقها الضيق.

الكلمات المفتاحية : الصراع ؛ الكيان الصهيوني ؛ الدائرة العربية ؛ **الدائرتين الإسلامية والإنسانية؛**

***المؤلف المرسل :** بتة الطيب

Abstract:

The Palestinian issue is considered the most prominent and exciting issue in modern and contemporary political history, whether in terms of the length of the conflict, the ugliness of the crimes of the occupation, or the steadfastness of the occupied people. The issue has posed a major challenge to Arabs in particular and Muslims in general since the announcement of the establishment of the Zionist entity in 1948. Arabs embraced it for decades in the context of Arab nationalism as a unifying identity, and after the beginning of the wave of normalization with the Zionists, the framework of the issue was reduced to the narrow Palestinian sphere. This article comes to address the development of the contexts that embraced this chronic issue, and proposes new circles of interest in it for the purpose of expanding its narrow scope.

Keywords: Conflict; Zionist entity; Arab circle; Islamic and humanitarian circles;

مقدمة:

كانت ولا زالت القضية الفلسطينية واحدة من أبرز القضايا الأكثر حضورا في خارطة الصراعات المزمنة في العالم المعاصر، وينظر العديد من المختصين إلى الصراع الموصوف أحيانا بالعربي وأحيانا أخرى بالفلسطيني - الاسرائيلي على أنه صراع ممتد تاريخيا فضلا على أنه متعدد الأطر (صراع قومي/عقيدي/إيديولوجي)، ويصوره البعض على أنه صراع وجود أكثر منه صراع حدود.

وقد اختلف المتابعون للقضية محل البحث في توصيفهم للصراع بين من قصروها في الدائرة العربية – وهذا ما كان عليه الأمر مع بداية تفجر الصراع على إثر إعلان قيام دولة إسرائيل في 15 ماي 1948- وبين من ضيق من حدود الدائرة ليقصرها فقط على النزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

غير أنه وبعد إقدام المقاومة في قطاع غزة – أكثر القطاعات مواجهة للاحتلال الصهيوني- على إعلان ما يسمى بعملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر عام 2023 وما تبعه من رد فعل إسرائيلي قوي تسبب في ارتكاب جرائم وحشية على مسمع ومرأى العالم أجمع، لوحظ وبشكل جلي وبالرغم من الدمار الكبير في القطاع إلا أن تطورات الأحداث عرفت تدويلا عالميا غير مسبوق لمعاناة الفلسطينيين، وما ساعد على ذلك هو الاستخدام الكثيف والنوعي لتكنولوجيات الاعلام والاتصال التي ظهرت في مختلف مواقع التواصل الاجتماعي من خلال استغلال تأثير الصور والفيديوهات التي فضحت الاعلام الرسمي وبينت بجلاء حجم وحشية المحتل الصهيوني. مما كسبت تعاطفا دوليا سريعا وقويا تبدى في المظاهرات والاحتجاجات الشعبية العارمة في كبرى عواصم العالم الغربي بالخصوص، مما شكل ضغطا كبيرا مارسه الرأي العام الغربي على رؤساء كبرى الدول الفاعلة.

تحاول هذه الورقة إثارة إشكالية بحثية تتجه نحو التفكير في التأسيس لرؤية جديدة تنبني على إمكانيات تحويل دائرة الصراع من الدائرة العربية وبعدها الفلسطينية - التي أثبتت التجربة العملية فشلها- إلى الدائرتين الإسلامية والانسانية – الإسلامية، باعتبار العامل العقدي فعالا في عملية المواجهة- و – الإنسانية، باعتبارها عاملا مهما نحو إحياء الضمير الإنساني وتوظيفه لبناء رأي عالمي ضاغط.

وفي سياق متصل يطرح الباحث فرضية عامة: توسيع دائرة الصراع ضد الكيان الصهيوني من الدائرتين العربية والفلسطينية إلى الدائرتين الإسلامية والإنسانية من شأنه تقديم دعم فعال للقضية الفلسطينية.

ولا يمكن للباحث الإجابة عن الإشكالية الرئيسية إلا بطرح الأسئلة الفرعية التالية:

1/ هل نجح المد القومي العربي في دعم القضية الفلسطينية على امتداد صراعه ضد الكيان الصهيوني؟

2/ بعد سقوط المد القومي العربي واختزال الصراع في بعده الفلسطيني المحلي هل نجح هذا الأخير في تقديم الدعم المطلوب لنضال الشعب الفلسطيني؟.

3/ هل يمكن الرهان على البعدين الإسلامي والإنساني في دعم القضية الفلسطينية؟

وبالعودة للفرضية الرئيسية فإن الباحث يطرح الفرضيات الجزئية التالية:

1/ فشل المد القومي العربي في دعم القضية الفلسطينية على امتداد صراعه ضد الكيان الصهيوني نظرا لأسباب محلية وأخرى دولية.

2/ بعد تراجع المد القومي العربي واختزال الصراع في بعده الفلسطيني المحلي أدى إلى تضييق دائرة الدعم التي تحتاجها القضية الفلسطينية.

3/ يمكن للبعدين الإسلامي والإنساني أن يفتحا آفاق جديدة لدعم القضية الفلسطينية.

وقد وظف الباحث المنهجين الوصفي والتحليلي في معالجته لإشكالية المقال، ووجه استخدام المنهج الوصفي يتمثل في توصيف حقيقة الصراع ضد الكيان الصهيوني على امتداد فصوله من مرحلة المد القومي العربي إلى مرحلة اختزالها في البعد الفلسطيني المحلي والهدف من ذلك هو تشخيص الوضعية قبل اقتراح العلاج. أما المنهج التحليلي فتم استخدامه من خلال الربط بين متغيرات الواقع في كل مرحلة والوصول الى تفسير طبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات والبناء عليها في التأسيس لرؤية جديدة.

وعليه يرى الباحث امكانية معالجة الإشكالية واختبار الفرضية من خلال التطرق للمحاور التالية:

المحور الأول: البعد القومي للصراع ضد الكيان الصهيوني.

المحور الثاني: البعد الفلسطيني للصراع ضد الكيان الصهيوني.

المحور الثالث: البعد الإسلامي والإنساني للصراع ضد الكيان الصهيوني (بناء رؤية جديدة)

خاتمة

المحور الأول:

البعد القومي للصراع ضد الكيان الصهيوني

احتلت القضية الفلسطينية مكانة هامة عند القادة والمفكرين العرب منذ إقدام إسرائيل على إعلان قيام الدولة في ماي 1948، وعلى مستوى الفكر والتأليف نجد بأنه لم تحتل أي قضية عربية كانت اهتماما كبيرا كالذي احتلته القضية الفلسطينية والمطلع على ما حوته المكتبة العربية يدرك ذلك بسهولة.[1]

ولكون الوطن العربي يتمتع بموقع استراتيجي مهم وحيوي فضلا عن استيعابه لعدد كبير من السكان وسوق اقتصادية واسعة وثروات مادية وبشرية هائلة مما جعلها محل أطماع عالمية منذ زمن بعيد، ومع تنامي الهجوم الغربي على الوطن العربي في العصر الحديث الذي تجسد عمليا في الاحتلال الاستيطاني الذي طال معظم الأراضي العربية لمدة تتجاوز القرن من الزمن مما وفر البيئة المناسبة لميلاد المد القومي العربي.[2]

وفي ظل هذه الأحداث أضحت القضية الفلسطينية القضية الأبرز من حيث الدعم المادي والعسكري والمعنوي من قبل الأنظمة العربية الحاكمة ابتداء والشعوب العربية تاليا، ومن الشواهد على ذلك مشاركة الجيوش العربية مجتمعة فيما سمي بالحروب العربية الإسرائيلية (حرب 1948- حرب 1967- حرب 1973)، وكان مبرر الدعم قوميا بالأساس (اعتبارات اللغة والتاريخ والجغرافيا والعرق المشتركة). وفي السياق ذاته كان ينظر للحركة الصهيونية التي كانت وراء احتلالها لفلسطين على أنها خطر حقيقي يتهدد كل أقطار المشرق العربي بل والوجود التاريخي للعرب جميعهم.[3]

وقد عرف العرب خلال مرحلة القومية العربية مواجهات مباشرة مع الكيان الصهيوني، تباينت بين تحقيق نجاحات جزئية وانكسارات. وكان أساس هذه المواجهات هو أن القادة والزعماء العرب كانوا ينظرون لصراعهم مع إسرائيل على أنه صراع وجود منذ البداية وعلى أن نهاية الأمر ستكون إما بفناء العرب أو فناء اليهود لكن مع تقدم الزمن تراجع هذا التصور

للحل وتعدد معه التصورات بالنظر لمعطيات الواقع وإكراهاته من جهة وأيضا متطلبات الحكم والسيادة من جهة أخرى.[4]

وفي السياق نفسه، يؤكد الباحث المتخصص وليد عبد الحي في دراسة علمية له أن هذه المرحلة الممتدة من 1948 إلى 1967 سيطر فيها المنظور الصفري للصراع الذي يعني بإيجاز أن أي مكسب لطرف ما يعني بالضرورة خسارة للطرف المقابل فضلا على أن حجم المصالح المشتركة بينهما تدور حول الصفر، ودلالة ذلك بحسب الباحث دائما هو أن الموقف العربي بشقيه الرسمي والشعبي كان رافضا بالجملة لوجود إسرائيل، وما الوضع بين الطرفين إلا تعبيرا عن حالة هدنة أي وقفا مؤقتا لإطلاق النار إلى حين استئناف الحرب من جديد، كما أن الحدود بين الطرفين في نظر العرب لا تعد حدودا دولية طبقا للقانون الدولي.[5]

ومن المهم الإشارة في هذا السياق إلى الدعم الاستثنائي الذي قدمته عدد من الدول العربية وفي مقدمتها الجزائر، ومن الأمثلة الخالدة على ذلك احتضانها لاحتفالية الإعلان عن القيام الرسمي لدولة فلسطين وعاصمتها القدس الشريف في 15 نوفمبر 1988، وترتب عن ذلك مسارعة 105 دولة إلى إعلان اعترافها بفلسطين. ونظرا لتطابق رؤيتي الشعب الجزائري مع حكومته أضحى الدفاع عن القضية يأخذ طابعا قدسيا خال من أي تململ.[6]

وهناك شواهد أخرى سجلها التاريخ تؤيد ما ذهبنا إليه آنفا منها الدعم ب 11 طائرة من نوع ميغ في حرب 1967، وفي حرب 1973 شاركت بلواءين، أحدهما مدرع والآخر مشاة مع حوالي 60 طائرة ومئات الدبابات فضلا عن تزويدها لمصر ب 20 مليون طن من البترول ولسوريا ب 10 مليون طن. كما نجحت الدبلوماسية الجزائرية في تمكين الوفد الفلسطيني من إلقاء كلمته في أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1974 كخطوة رمزية مهمة أكدت على إثبات وجود دولة فلسطين.[7]

غير أنه مع تراجع مد القومية العربية وتهاوي الأنظمة الحامية والمناصرة له تراجع الدعم القومي العربي للقضية الفلسطينية بشكل سريع ولم تعد في سلم أولويات الاهتمام

العربي الرسمي. فضلا عن انخراط القادة العرب في مسلسل التسوية السلمية مع الكيان الصهيوني الذي تزامن مع التطبيع الرسمي للعلاقات مع إسرائيل في مرحلته الأولى مع الثلث الأخير من القرن الماضي (مصر / الأردن..) ثم تطور الأمر إلى الانخراط في المرحلة الثانية من التطبيع بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي (الإمارات / المغرب / البحرين / سلطنة عمان/ موريتانيا..). وفي المسار نفسه تنامى بشكل ملحوظ تيار المقاومة الذي قادته حركات المقاومة في الداخل الفلسطيني وفي قطاع غزة تحديدا. وللإشارة فإن هذا التيار مدعوم شعبيا على الأقل على مستوى التعاطف. وفي المحصلة فإن الدعم العربي ذا التوجه القومي تراجع وفشل في إيجاد حل نهائي وجذري للقضية الفلسطينية وحلت محله أوضاع وتصورات جديدة سنتعرف عليها في المحور الموالي.

المحور الثاني:

البعد الفلسطيني للصراع ضد الكيان الصهيوني.

بعد انقضاء ثلاثة عقود من الصراع المفتوح والمباشر بين العرب والكيان الصهيوني (1948-1979) والتي قادها بالأساس القوميون العرب في ثلاثة محطات مفصلية (حروب 1948 و1967 و 1973)، بدأت بعدها مرحلة جديدة مختلفة تماما عما سبقها، إذ بعدما كان التصور قائما على الصراع الوجودي بين العرب كطرف ممثل عن فلسطين التي تعد جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي وبين الكيان الصهيوني على اعتبار أن العرب لم يكونوا يعترفون بدولة اسمها إسرائيل بشكل مطلق -.

ودشن بداية هذه المرحلة الرئيس المصري السابق أنور السادات الذي أقدم على توقيع أول اتفاقية سلام مع الكيان الصهيوني سميت باتفاقية كامب ديفيد في أكتوبر 1978، فاتحا بذلك مسارا جديدا تمثل في مسار السلام، بما يعني وضع حد لخيار الصراع الوجودي مع العدو. وبالرغم من الرفض العربي الرسمي لهذه الخطوة غير المسبوقة، إلا أن تنحي العرب عن ملف الصراع بدأ بشكل تدريجي، وبدا ذلك جليا في تغير الشعارات الرسمية من شعارات التوجه القومي العروبي التي تدعو إلى السعي نحو انهاء الوجود الصهيوني وعدم الاعتراف به

على أرض فلسطين العربية إلى ظهور شعارات تعبر عن التوجه الجديد، فأضحت عبارة القضية الفلسطينية والنزاع الفلسطيني الإسرائيلي تحل محل عبارة الصراع العربي الصهيوني، وحلت عبارة السلام خيارنا الاستراتيجي محل عبارات الصراع وغيرها، بما يعبر عن اختزال مقصود للقضية محل النقاش والمعالجة.[8]

فبعدما كان الصراع مع الكيان الصهيوني عربيا قوميا أضحى الصراع فلسطينيا صهيونيا، إذ افترق الصف في الداخل الفلسطيني بين دعاة السلام الذي تمثله حركة فتح وبين دعاة المقاومة الذي تقوده مختلف فصائل المقاومة بكافة اتجاهاتها الأيديولوجية، كما تمايزت القطاعات على هذا الأساس، فقطاع غزة الأكثر احتضانا للمقاومة والضفة الغربية الأكثر مهادنة للعدو. ومما زاد القضية اختزالا إقداما غير مسبوق للعديد من الأنظمة العربية على اتخاذ قرار التطبيع وبشكل متسارع ورسمي مع الكيان الصهيوني، مما أربك الفلسطينيين في مسار هم النضالي. ولا يخفى على المتابعين للمشهد الحالي المخاطر الشديدة لمسار التطبيع على مستقبل القضية الفلسطينية، وقد أسهب الباحث باسل صالح القاضي في عرضها عقب تحديده لمجالات التطبيع والتي تبين بوضوح أن التطبيع إذا ما استمر وتواصل زمنيا وجغرافيا فإنه سيسهم في تعقيد الحل وربما استحالته على الأقل في الزمن الراهن وما يليه من سنوات.[9]

وقد وضح أحد الباحثين المراحل التي مرت بها عملية تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني وهي أربعة، أولاها اللقاءات السرية التي عقدت قبل حرب 67 وتحديدا مع الأردن والمغرب فالأولى توجت باتفاق 1950 القاضي بعدم الاعتداء من الجانبين لخمس سنوات متوالية مع تشكيل لجان مشتركة مهمتها صياغة تسوية شاملة للنزاع بينهما وقد تبدت ملامح ذلك مع احتلال كلا من الضفة الغربية وقطاع غزة في جوان 1967. وثاني أطوار التطبيع كان مع توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام 1979 برعاية أمريكية أفضت إلى عزل مصر عن العرب من خلال توقيع اتفاقيتين تمثلت الأولى في: (إطار السلام في الشرق الأوسط)، والثانية في: (إطار عمل من أجل عقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل). وثالثة المراحل كانت مع

الفلسطينين ممثلين في منظمة التحرير حيث وقعوا اتفاقية أوسلو عام 93 التي تنص على اعتراف أصحاب الأرض للمحتل بشرعية الوجود متنازلة له بذلك عن 78% من أراضيها للكيان الغاصب وكان المقابل اعتراف الاحتلال بالمنظمة كممثل وحيد للشعب الفلسطيني في المفاوضات، وتبع ذلك توقيع اتفاقية وادي عربة مع الأردن عام 94. .[10]

وآخر المسار وقد لا يكون الأخير بعد سنة 2020 جاء تطبيع متسارع لعدد من الدول كالمغرب والإمارات والبحرين والسودان ولم يتبقى سوى عدد من الدول التي لازالت رافضة لهذا المسار المستهجن على غرار الجزائر والكويت. وقد لقي هذا التهافت الغريب على التطبيع استهجانا شديدا على المستويين الشعبي والرسمي لما يسمى بدول الممانعة غير أن هذا الشجب لم يسجل تراجعا من أحد عن قراره.[11]

ومن جهة أخرى، وللحيلولة دون تحرك فلسطيني مؤثر ضد الكيان الصهيوني الغاصب تذكر الباحثة نور عرفة أن إسرائيل عمدت منذ عقود ممتدة إلى تبني استراتيجية تكفل لها التحكم في الأرض المحتلة وتمنع من تنامي مقاومة فلسطينية قوية، ومن أمثلة ذلك أنه في العام 2022 قامت بإصدار 20,000 تصريح جديد لفلسطينيين من الضفة الغربية يسمح لهم بالعمل في الداخل الاسرائيلي. كما عمدت إلى منح معونات اقتصادية لغزة عقب النزاع الذي شهده القطاع في أوت 2022، تمثّلت بزيادة أعداد التصاريح التي تُجيز لسكان قطاع غزة العمل في دولة الكيان. فضلا عن ذلك، والسماح لفلسطيني الضفة الغربية للسفر عن طريق مطار رامون في جنوب إسرائيل والوجه الثاني من الاستراتيجية.

وتضيف الباحثة أن الركيزة الثانية للاستراتيجية الإسرائيلية الرامية لبسط الاستقرار في البلاد اتجهت نحو الاعتماد على قيادة السلطة الفلسطينية بغرض ضبط حركة الفلسطينيين سياسيًا. فالملاحظ أنه ومنذ السلطة الفلسطينية عام 1994 كجزء من اتفاقيات أوسلو، أضحت السلطة الفلسطينية الطرف الأساسي الذي يدير حياة الفلسطينيين، وتحولت مع الزمن إلى مؤسسة للحكم الإسرائيلي غير المباشر. وتنفيذا لاتفاقيات أوسلو حُمِّلت السلطة الفلسطينية مسؤولية حماية الأمن الإسرائيلي والذي يتمثل

تحديدا في قمع المقاومة الفلسطينية، في مقابل الحصول على منافع مادية. ويندرج هذا الأسلوب عند المختصين ضمن سياسة تكليف السلطات المحلية بالمهام الأمنية مع عقيدة مكافحة التمرّد، ولا سيما مع ما يسمّيه الخبير في مكافحة التمرد، الأسترالي ديفيد كيلكولن بـــ: نهج "من أسفل إلى أعلى"، الذي ينبني أساسا على بناء تحالفات مع النخب المحلية، سواء كانت جهات حكومية أو غير حكومية، وتحميلها مسؤولية بسط الاستقرار والتهدئة.[12]

المحور الثالث:

البعد الإسلامي والإنساني للصراع ضد الكيان الصهيوني(بناء رؤية جديدة)

المتابع لما يحدث في الساحة العالمية بخصوص القضية الفلسطينية يجد أن عملية طوفان الأقصى كشفت مدى زيف صورة التنوير والانسانية التي اجتهد الغرب لعقود متوالية تقديمها للعالم مبرهنا سقوط منظومته القيمية والأخلاقية جراء تأييده ودعمه المباشر لجرائم الاحتلال الصهيوني المتواصلة، وكان من تداعيات ذلك تشكل رأي عام غربي مكون أساسا من جيل شبابي جامعي ليس رافضا فقط للفظائع في غزة ولكنه وصل حد نسف السردية الإسرائيلية التي ترفع شعار المظلومية المزيف. وما شهدته الفترات الماضية من احتجاجات واعتصامات طلابية ونخبوية في مختلف عواصم الدول الغربية إلا دليل واضح على ذلك.[13]

وفي سياق ذلك يرى الباحث هـ أ. هلبير في مقال له بمركز كارنيجي أن التطورات في غزة في أعقاب عملية طوفان الأقصى ألحقت ضررا معتبرا بمصداقية أوروبا ابتداء ودول الغرب عموما على الصعيد الدولي، وعلى هذا الأساس بات ينظر لأوروبا على أنها فشلت في حماية القانون الدولي وإقامة نظام دولي عادل ومحايد، ويضيف الباحث إلى أن هجمات حركة حماس في السابع من أكتوبر 2023 حتى وإن كانت مروعة إلا أنها جاءت كرد فعل على عقود من الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وبالتالي فلا يمكن تبرير الرد الإسرائيلي المروع على الشعب الفلسطيني لكون أن أوروبا ترفع شعار السلام والأمن وتسعى لتجسيده، ومع ذلك فأوروبا منقسمة من الداخل بين داعم بشكل مطلق لإسرائيل وفي مقدمتها ألمانيا وبين دول أخرى تعبر عن عتابها ولومها الواضح لهمجية دولة إسرائيل على غرار إيرلندا وبلجيكا وإسبانيا .[14]

للقضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني مكانة هامة وحيوية في الخارطة الذهنية لمعظم دول العالم الإسلامي، حيث عدت القضية الفلسطينية في نظر المسلمين قضية مقدسة لا تهم الدول العربية فحسب بل هي قضية تهم العالم الإسلامي ككل. غير أن الشاهد أن توجهات الدول الإسلامية تجاه الصراع العربي– الصهيوني منذ قيام الكيان عام 1948 كانت مختلفة ومتباينة. ومن أسباب ذلك غياب وجود أي نوع من التنسيق أو التعاون الحقيقي بين مختلف دول العالم الإسلامي. ففضلا على التباعد والتباين الجغرافي بين مواقع الدول الإسلامية بين عدة قارات ومناطق جغرافية مختلفة نلاحظ عدم وجود تنظيم أو إطار يؤلف بين سياساتها ومواقفها تجاه القضايا الرئيسية التي تمس مصالح هذه الدول بشكل مباشر أو غير مباشر وقد ظهر فيما بعد ما يسمى بمنظمة التعاون الإسلامي إلا أن أداؤها وتأثيرها يبقى محدودا للغاية.[15]

ومن المهم الإشارة هنا إلى أنه مع فشل التجربتين القومية والقطرية (الاختزالية) للقضية الفلسطينية على مدار ما يقرب من ثمانين سنة ومع استمرار حركات المقاومة الفلسطينية والممانعة الشعبية العربية في كفاحها المستميت مع الكيان الصهيوني خاصة بعد النجاح الكبير لعملية طوفان الأقصى التي أطلقتها حكة حماس في السابع من أكتوبر من العام الماضي في كسر خرافة (إسرائيل قوة لا تقهر) التي راجت كثيرا لعقود ممتدة من الزمن. ومع الزخم الإعلامي الكبير المساند لحق الشعب الفلسطيني في الحرية وما رافقه من دعم كبير للرأي العام الغربي والعالمي عامة والذي ظهر في شكل اعتصامات ومظاهرات حاشدة (شعبية / طلابية / نخبوية ...) في مختلف عواصم العالم المتقدم وغيره.

كل هذه المتغيرات تدفعنا إلى ضرورة التأسيس لرؤية جديدة للصراع الدائر ضد الكيان الصهيوني بإعطائه بعدا إسلاميا – باعتبار الصراع يستند لمرجعية دينية قوية وفعالة تربط الوصال مع المسلمين في كافة بقاع المعمورة بعدما ساهم القوميون العرب في كسره لعقود طويلة وبالتالي لا بد من إعادة التأسيس له وتقوية دعائمه- وأيضا في الوقت نفسه إعطائه بعدا إنسانيا – باعتبار الصراع يستند لمرجعية إنسانية تتأسس على حق الشعوب في

التحرر من الاحتلال وجرائمه الممتدة من خلال مخاطبة الفطرة البشرية النقية-. ومما يشجعنا على التأسيس لهذه الرؤية الجديدة هو توفر شروط الدعم الإسلامي والإنساني والتي أبانت عليها الأحداث التي جاءت بعد عملية طوفان الأقصى ولا تزال سارية إلى يومنا هذا.

خاتمة:

في ختام هذا المقال نبدأ بالإجابة عن التساؤلات الفرعية ثم نختبر الفرضيات الفرعية لنصل إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسية ثم نختبر صحة أو خطأ الفرضية الرئيسية.

بالنسبة للتساؤل الفرعي الأول خلصنا من بحثنا أن تجربة القومية العربية التي تبنت مهمة الصراع ضد الكيان الصهيوني دفاعا عن القضية الفلسطينية قد فشلت في تحرير فلسطين لأسباب متعددة منها افلاس المشروع القومي في اداخل العربي لاسيما بعد فشل الجيوش العربية في حرب 1967، وأسباب خارجية منها سقوط المشروع الاشتراكي الذي تبناه الاتحاد السوفياتي والذي كانت الأنظمة العربية ذات التوجه القومي تابعة له إيديولوجيا. وبالتالي فالفرضية الفرعية المرتبطة بهذا التساؤل صحيحة.

أما التساؤل الفرعي الثاني فقد خلصنا إلى فشل تجربة الصراع ضد الكيان الصهيوني بسبب اختزال دائرة الصراع في الحيز الفلسطيني المحلي مما ضيق من دائرة الدعم للقضية الفلسطينية ولهذا التراجع أسبابه المتعددة. وبالتالي فالفرضية المطروحة في هذا الجزء أيضا صحيحة.

في حين أن الإجابة عن التساؤل الفرعي الثالث خلصت إلى أن الرهان على البعدين الإسلامي والإنساني من الممكن جدا أن يكون ناجحا وفعالا اعتمادا على المؤشرات الواضحة خاصة في أعقاب عملية طوفان الأقصى خاصة في بعده الإنساني، أما البعد الإسلامي فلا يزال ضعيفا وغير فعال. وبالتالي فالفرضية الجزئية المطروحة في هذا السياق صحيحة جزئيا.

وإجمالا وكإجابة عن الإشكالية الرئيسية نخلص في الأخير إلى القول بأن التجربتين القومية والمحلية (الفلسطينية)، قد أثبتتا فشلهما الذريع في التبني الإيجابي للقضية الفلسطينية، ويتمثل تحديدا في إيجاد حل جذري للقضية محل الجدل، وضمان ائتلاف

الشعوب حولها، وبالتالي نرى أنه لا بد من توسيع دائرة الدعم لهذه القضية وربطها بالدائرة الإسلامية (تأسيسا على قاعدة الاستناد للدين كعنصر حيوي ومحفز ومحرك للمسلمين في كافة بقاع المعمورة وإشعارهم بأنهم معنيين أكثر من غيرهم بالقضية، وضرورة ادماجهم في عملية الدعم بكل أدوات ووسائل القوة المتاحة)، وكذا ربطها بالدائرة الإنسانية التي تسع جميع الناس (من خلال مخاطبة الضمير الإنساني وكل من يمتلك الفطرة النقية التي تؤمن بشعار الانسان أخ الانسان، واغتنام فرص انتفاض الكثير من الناس عبر العالم، وخاصة في عواصم الدول الكبرى، بالضغط على صناع القرار فيها لاتخاذ قرارات وتبني سياسات تخدم حقوق الشعب الفلسطيني). وبالتالي فالفرضية الرئيسية المطروحة صحيحة إلى حد كبير حيث أن مؤشرات الواقع الراهن خاصة بعد انكشاف جرائم الاحتلال الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني في قطاع غزة تحديدا وفلسطين عامة وتشكل رأي عام عالمي ضاغط جزء كبير منه في البلدان الغربية نفسها تؤكد أن توسيع دائرة الصراع ضد الكيان الصهيوني من الدائرتين العربية والفلسطينية إلى الدائرتين الإسلامية والإنسانية من شأنه تقديم دعم فعال للقضية الفلسطينية على المديين المتوسط والبعيد.

وعلى ضوء النتائج المتوصل إليها يمكن طرح عدد من التوصيات ذات الصلة:

- ضرورة تفعيل أداء منظمات المجتمع المدني الناشطة في الدول العربية والإسلامية والناشطة على المستوى العالمي مع إيجاد صيغ فعالة للتنسيق فيما بينها دعما للقضية الفلسطينية.
- حث النخب على الدفع نحو تشكيل رأي عام عالمي ضاغط وداعم لنضال الشعب الفلسطيني.
- توظيف مختلف وسائل الاعلام لتوسيع دائرة الدعم للقضية الفلسطينية عبر إبراز جرائم الاحتلال الصهيوني على الأرض بنشر الصور والفيديوهات المختلفة.
- تفعيل أداء المنظمات الحقوقية الإقليمية والعالمية ودفعها نحو إعداد ملفات تدين ارتكاب قوات الاحتلال الصهيوني لجرائم حرب ضد المدنيين من الأطفال والنساء

وغيرهم، وكذا فضح الدول المتحالفة معها خاصة تلك التي تدعي أنها راعية لحقوق الانسان.

الهوامش:

[1] إبراهيم أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أفريل 1987، ص.7

[2] عبد الله الحوراني، فلسطين قضية قومية، وليست وطنية فقط، على الموقع:
https://www.badil.org/ar/publications/haq-al-awda/issues/items/2421.html ، تم الاطلاع يوم: 2025/05/18 على الساعة: 08:58

[3] عبد الوهاب الكيالي، البعث والقضية الفلسطينية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973، ص. 286

[4] إبراهيم أبراش، مرجع سابق، ص. 92

[5] وليد عبد الحي، سيناريوهات ما بعد طوفان الأقصى، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024، ص. 4

[6] عبد الرحيم رحموني، شمس الهدى نجاح، الجزائر بين ثنائية قدسية القضية الفلسطينية والرفض المطلق للتطبيع مع إسرائيل، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، القدس فلسطين، العدد 281، خريف 2020، ص.86

[7] المكان نفسه

[8] محمد أشرف البيومي، كيف اختُزِل الصراع العربي ضد الصهيونية والامبريالية إلى "المسألة الفلسطينية، على الموقع:
https://kanaanonline.org/2016/06/29/%D9%83%D9%8A%D9%81- تاريخ الاطلاع: 2025/05/18 على الساعة: 09:00

[9] باسل صالح القاضي، مخاطر التطبيع على الدول والشعوب العربية والإسلامية، في: محسن محمد صالح : دراسات في التطبيع مع الكيان الصهيوني، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط.1، 2022، ص.365-378.

[10] ماجد صدام سالم، جيوبوليتيك التطبيع الإسرائيلي مع الدول العربية، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 39، نوفمبر 2022، ص.103

[11] المرجع نفسه، ص.103-104

[12] Nur Arafeh , Pacification Without a Political Horizon: Why Israel's Strategy to Control the Palestinians Is Failing, Malcolm H. Kerr Carnegie Middle East Center, 2022.

[13] فارس أبي صعب، طوفان الأقصى وما بعدها: نحو حركة عالمية لتحرير فلسطين، مركز دراسات الوحدة العربية، على الموقع:
https://caus.org.lb/%D9%86%D8%AD%D9%88-%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9- تاريخ الاطلاع: 2025/05/18، على الساعة: 09:01

[14] H. A. Hellyer, Why Gaza Forces Europe to Act, Malcolm H. Kerr Carnegie Middle East Center, 2024.

[15] عبد الفتاح الرشدان، تصورات الدول الإسلامية (تركيا، إيران، باكستان) حول مستقبل الصراع العربي – الإسرائيلي حتى عام 2015، على الموقع:
http://mesc.com.jo/activities/Act_Sem/final%20seminar/Sim-05-02-10.htm تاريخ الاطلاع: 2025/05/18، على الساعة: 09:02